

أضواء البيان

@ 274 كما أنعم عليهم بها في الدنيا في مواضع كثيرة ، كقوله : { أَيْحَسِبُونَ أَنْ نَمَاتَ نُؤْمِدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ } ، وقوله { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ } ، وقوله { وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ نَمَاتَ نُؤْمِلَى لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنَّنَفْسِهِمْ إِنَّ نَمَاتَ نُؤْمِلَى لَهُمْ لِيَزْزِدُوا إِثْمَاتَهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } ، وقوله : { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِرِئَاسَتِي تُقَرَّرُ بِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى } ، وقوله تعالى : { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وقوله : { مُنْقَلَبًا } أي مرجعاً وعاقبة . وانتصاه على التمييز . وقوله : { لِأَجْدَنٍّ خَيْرًا مِّنْهَا } قرأه ابن عامر ونافع وابن كثير (منها) بصيغة تثنية الضمير . وقرأه الباقر (منها) بصيغة إفراد هاء الغائبة . فالضمير على قراءة تثنيته راجع إلى الجنتين في قوله { جَعَلْنَا لَآحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ } ، وقوله : { وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَا مَلِئْتَهُمْ رُءْيًا } . وعلى قراءة الإفراد راجع إلى الجنة في قوله : { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ } . .

فإن قيل : ما وجه إفراد الجنة مع أنهما جنتان ؟ فالجواب أنه قال ما ذكره □ عنه حين دخل إحداهما ، إذ لا يمكن دخوله فيهما معاً في وقت واحد . وما أجاب به الزمخشري عن هذا السؤال طاهر السقوط ، كما نبه عليه أبو حيان في البحر . قوله تعالى : { قَالَ لَهُ صَاحِبِيهِ هُوَ يُجَادُّهُ وَأَكْفَرْتَهُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ لَكِنَّ هُوَ اللَّاهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن ذلك الرجل المؤمن المضروب مثلاً للمؤمنين ، الذين تكبر عليهم أولو المال والجاه من الكفار ، قال لصاحبه الآخر الكافر المضروب مثلاً لذوي المال والجاه من الكفار ، منكراً عليه كفره أكفرت بالذي خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم سواك رجلاً ، لأن خلقه إياه من تراب ثم من نطفة ، ثم تسويته إياه رجلاً ، كل ذلك يقتضي إيمانه بخالقه الذي أبرزه من العدم إلى الوجود ، وجعله بشراً سويًا ، ويجعله يستبعد منه كل البعد الكفر بخالقه الذي أبرزه من العدم إلى الوجود .

وهذا المعنى المبين هنا بينه في مواضع آخر ، كقوله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ
بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ، وقوله تعالى : { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } وقوله تعالى : { قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا
كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ اَلَا سِوَايَ اللَّهِ تَعْبُدُونَ فَايَئِسَّ
إِلَّا رَبُّ